المحاضرة السابعة

المستقبلية وجمال الحركة

نشأت الحركة المستقبلية الإيطالية بإصدار مارينيتي لبيانه الشهير في باريس (١٩٠٩)، وركزت على تمجيد الحركة الهجومية، والسرعة، والعنف، مع رفضها التام للماضي وتقديسه. اقتصرت أبرز أسماء الحركة على خمسة فنانين بعد بيان ميلانو (١٩١٠): بوشيوني، كارا، روسولو، بالا، وسيفيريني. بينما اهتمت التكعيبية في باريس بالتحليل البنائي للصورة، ظهر تيار موازٍ في روما ركز على ديناميكية الحركة، مُطوراً فكرة جديدة عبر فنانين مثل مارسيل، دوشامب ومارلو كارا، وأمبر توبو بككشيوني، وجياكومو، وجينوسفريني ولويجي روسولو.

- ركّزت التكعيبية على البناء الفني ذي الأبعاد الهندسية (ثنائية وثلاثية)، مُبرزة الجانب المعماري في العمل الفني، بينما رأت المستقبلية أن هذا النظام "استاتيكي" لا يعبر عن روح العصر الديناميكي الذي سيطرت فيه الآلة على الحياة الإنسانية. سعت المستقبلية إلى خلق محيط فني يعبّر عن الحركة والسرعة، متأثرةً بالمد القومي الإيطالي (تحت قيادة موسوليني) بين ١٩١١ و١٩٢٠، والذي دعا إلى قطع الصلة بالماضي وإلغاء عامل الزمن في التصوير.

تمثّلت هذه الرؤية في أعمال مثل لوحة مارسيل دوشامب "امرأة تخطو بقدميها عبر السلالم" (١٩١٣)، التي صورت الحركة عبر تراكب اللقطات كالشريط السينمائي، مما أثار جدلاً فنياً واسعاً عند عرضها في نيويورك.
برزت الحركة عبر بيان "مانيفستو المصورين المستقبليين" (١٩١٠) لبوكشيوني، الذي نظم معارض باريس (١٩١٢) ولندن وبرلين، لكن الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) شتتت المجموعة: قُتل بوكشيوني (١٩١٦)، بينما تحول أتباع الحركة إلى مدارس فنية أخرى (مثل التكعيبية أو التعبيرية الميتافيزيقية).

هكذا، مثلت المستقبلية محاولة لتحويل النظريات الديناميكية إلى أشكال فنية، لكنها تفككت بفعل التحولات السياسية والفنية، تاركةً إرثاً حياً رغم تناقضاتها.

مضمون الحركة

بيان المستقبلية (مانيفستو ١٩١٠) دعا إلى قطيعة جذرية مع الفن التقليدي، مع التركيز على تمثيل "الديناميكية الكونية" التي تحكم العصر الحديث، حيث الحركة والسرعة والضوء هي جوهر الواقع.
تضمنت مبادئه الرئيسية:
1. رفض التقليد: استبدال الأشكال الفنية الموروثة بأخرى أصيلة تعبِّر عن صخب الحياة المعاصرة (الحديد، السرعة، الحماس).
2. محاربة المفاهيم النقدية التقليدية مثل "التوافق" و"الذوق الرفيع"، واعتبارها قيودًا تُعيق الإبداع.
3. إلغاء الموضوعات الكلاسيكية في الفن، واستبدالها بمواضيع تعكس روح الحداثة التكنولوجية.
4. تمجيد الجنون كرمز للابتكار، واعتبار الديناميكية والحركة أساسًا للعمل الفني.
5. دمج المكملات اللونية والإيقاعات البصرية (كالألوان المنشورية) والصوتية (كالأمواج المتعاقبة) لخلق تعبير متوازٍ عن الحركة.

سعت الحركة لتمثيل الحركة عبر تقنيات ساذجة، مثل تصوير الجواد بأطراف متعددة (كأن له ٢٠ رجلًا)، أو تراكب اللقطات لالتقاط الزمن في عمل واحد، متأثرةً بالتيارات الموازية ك "التعبيرات المتزامنة" (Simultanéisme) لدى ديلوني. لكن هذه المحاولات وُصفت بأنها فشلت في تجاوز القوالب الساكنة للفن الكلاسيكي، رغم تأثيرها اللاحق على تيارات الحداثة.
رغم قِصر عمر الحركة المستقبلية، إلا أن إسهامها في الفن الحديث كان عميقاً، خاصة في محاولتها تجسيد "ديناميكية العصر" عبر التركيز على الحركة والسرعة والتكنولوجيا. تمثّل ذلك في أعمال بارزة مثل تمثال أومبرتو بوكشيوني "أشكال فريدة للاستمرارية في الفراغ" (١٩١٣)، الذي يجسّد اندفاعاً ديناميكياً يُحاكي حركة الطائرات، وأعمال أخرى لفنانين مثل جياكومو بالا لوحة "السيارة والضوضاء" وكارلو كارا لوحة "ما أخيرته لي عربة الطريق"، التي حاولت تحويل القوى الميكانيكية إلى رموز بصرية.

لكن هذه المحاولات وُصفت بـ "السذاجة" لفشلها في تجاوز القوالب الساكنة، حيث اعتمدت على حلول بسيطة مثل تصوير الأجسام بأطراف متعددة (كالجواد ذي العشرين رجلاً) أو تراكب اللحظات الزمنية في عمل واحد، متأثرةً بفن السينما. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، تفرق أتباع الحركة: تحول بعضهم إلى المدارس الأكاديمية أو التعبيرية الميتافيزيقية، بينما قُتل بوكشيوني (١٩١٦)، مما أضعف تيار المستقبلية.

برز مارسيل دوشامب كأحد أكثر الفنانين تأثيراً، رغم انتمائه الظاهري للدادائية والسريالية. في لوحته "امرأة تنزل الدرج" (١٩١٢)، تجاوز التصوير التقليدي للحركة، معتمداً على "التجريد الديناميكي" لتمثيل الزمن والفراغ عبر تراكب الأشكال، ما أثار جدلاً فنياً واسعاً. رفض دوشامب فكرة "الصورة الثابتة"، مؤكداً أن الفن يجب أن ينبع من تفاعل الذاتية التشكيلية مع إيقاعات العمل الفني ذاته، وليس من محاكاة الواقع.

يُقارن النص بين محاولات المستقبليين و"ميكانيكيات الطيران" عند الطيور، حيث تُترجم الحركة إلى تفاعل معقد بين القوى والهواء، مشيراً إلى أن الفن الحقيقي (كالطيران) يحتاج إلى توازن بين الإبداع الذاتي والقوانين الموضوعية.

رغم ذلك، ظلت المستقبلية محاولة "رمزية" لتحويل الأفكار المجردة إلى أشكال، انتُقدت لافتقارها إلى العمق العاطفي، ما جعلها (بحسب النص) فنّاً يبدأ من الفكر ولا ينتهي إليه.

النقاط الرئيسية:

1. أتت الحركة المستقبلية الإيطالية بإصدار معتمدة على حلول شكلية (كالأطراف المتعددة) دون نجاح في تجسيد الحركة داخلياً.
2. دوشامب وجدلية الحركة: مزج بين التجريد والواقعية لخلق "لغة بصرية" جديدة تعبّر عن الزمن والفراغ.
3. الطيران كاستعارة فنية: تشابه عمليات الإبداع مع ديناميكية الطيران، حيث التفاعل بين القوة والمقاومة يخلق حركة عضوية.
4. تراث متناقض: رغم تفكك الحركة، تركت أثراً في تيارات مثل الدادائية والسريالية، خاصة عبر أعمال دوشامب الغامضة.

أبرز فناني المستقبلية:

1- جياكومو بالا (١٨٧١–١٩٥٨)

يُعد جياكومو بالا (١٨٧١–١٩٥٨) أحد أبرز فناني المستقبلية، حيث تميزت أعماله بتركيزها على الديناميكية و(الحركة)كجوهر للواقع الحديث. من أشهر لوحاته:

1- "الكلب فوق سلسلة": التي تجسد حركة الكلب المُتكررة بإيقاع يشبه الشريط السينمائي، مُحوِّلاً المشهد اليومي إلى صيغة شعرية تعبّر عن الزمن العابر عبر تكرار الأطراف والخيوط، مما يُولّد إحساساً واضحاً بالحركة.
2- "عازف الكمان" (١٩١٢): التي دمجت المُشاهد في إيقاع اللوحة عبر خطوط مُتلألئة وتحليلات لونية تُحاكي حركة العزف.
3- - لوحة "فتاة تجري بمحاذاة القضبان": حيثُ تعكس تكرارية الحركة وتحليل اللون توليفةً متكاملةً للتعبير عن السرعة.

أهتم بالا بجوهر العناصر:

- تقبليه عبر أشكال إشعاعية لا نهائية وألوان شفافة في لوحاته الفلكية.
- **الحركة**: مثل تصوير السيارات المسرعة بعجلات تتحول إلى حلزونات، أو الطيور بأجنحة مُكررة تُشبه العينات البصرية.
- **التفاعل مع المُشاهد**: عبر دمج الإدراك البصري للإيقاع في العمل الفني، كذراع عازف الكمان التي "تُثير" الخيال.
- رغم استخدامه تقنيات مستقبلية مثل التكرار والانزياح البصري، إلا أن أعماله حملت لمسةً فكاهيةً وشاعريةً، جعلتها جسراً بين الرمزية التجريدية وإيقاعات الحياة اليومية.

النقاط الرئيسية:

-شأت الحركة المستقبلية في تحويل الحركة العابرة إلى لغة بصرية عبر التكرار والإيقاع.
- التقنية والتجريب: استخدام الأشكال الحلزونية والخطوط المُتشعبة لمحاكاة السرعة.
- التفاعل مع المُشاهد: تفعيل دور المتلقي في إكمال إحساس الحركة داخل اللوحة.
- الجوهر لا الشكل: التركيز على جوهر الضوء والحركة بدلاً من المحاكاة الواقعية.

2- جينو سفريني (١٨٨٣–١٩٦٦)

أحد أبرز رواد المستقبلية، تميز بدمج المرونة والمنطق في أعماله، بعيداً عن تزمت التكعيبية. ركز على دراسة الإيقاع البصري عبر أعمال مثل لوحة "الراقص الأزرق"، التي تجسّد الحركة عبر أقواس راقصة وزوايا حادة وتنويعات لونية، معتمداً على الأشكال الدائرية المُتكررة والبقع المُنتشرة لتجسيد الرقص دون التركيز على الشخصية.
بين عامي ١٩١٢–١٩١٣، تناول سفريني موضوعات حضرية كـ(مترو باريس ومحطات الحافلات)، مُستخدماً:
- تكسير الشكل لتفكيك المنظور الكلاسيكي.
- الهندسة التكعيبية في بناء التراكيب.
- التقنيات المستقبلية كالحركة الديناميكية.
جمع بين التجريد والإيحاء، محوّلاً الفضاءات اليومية إلى لوحات تعكس صخب المدينة الحديثة وإيقاعاتها، مع تركيزه على تحويل العناصر الواقعية إلى لغة بصرية تعبّر عن الزمن والسرعة.

النقاط الرئيسية:

-شأت الحركة المستقبلية الإيطالية بصدأ مرونة فنية تجسدت في تفكيك الأشكال مع الحفاظ على الإيقاع.
- الإيقاع كفكرة مركزية: تحويل الرقص والحركة إلى تراكيب تجريدية عبر الأشكال الدائرية والألوان.
- الفن والحياة اليومية: تفسير الفضاءات الحضرية عبر تقنيات مُبتكرة تلامس روح الحداثة.

3- امبرتو بوكشيوني (١٨٨٢-١٩١٦)

امبرتو بوكشيوني شخصية قلقة، مع مبالغات في تأكيد الناحية الإبداعية، في عام ١٩١٢ خاض مرحلة تحليلية للأشكال مؤكدا الناحية الهندسية، حاول على سبيل المثال، رسم زجاجة فوق منضدة، ووجهاً أمام خلفية من حديد النافذة. كان يبحث عن الأساس الهندسي للعنصر بروح الهامية محررة. لم يستغرق بوكشيوني في أشكال هندسية جرداء، فسرعان ما ربط أشكاله بملمس الجسد والعضلات.
وفي الفترة من ١٩١٢-١٩١٣ إهتم بوكشيوني بالنحت، ويقال أنه أصدر في باريس بياناً عن النحت في ١١ ابريل عام
١٩١٢. وكانت أفكاره أصيلة لم يتأثر فيها بالنحت السائد في باريس. وتمثاله (الإستمرارية في الفراغ) بمتحف الفن الحديث بنيوبورك ، من أهم ما أنتج . والشكل في عمومه يوحي بشخص إنسان متدثر بثياب فضفاضة يلفعها الهواء.